البقع الدموية كدليل مادي في جريمة القتل إذا عثر عليه على كرسي بمسرح الجريمة يمكن الاستنتاج بأن الجاني ضرب المجني عليه بهذا الكرسي على رأسه حيث نرى أثر الدم في رجل الكرسي . كذلك إذا شوهدت البقع الدموية متناثرة على السلم والمجني عليه ساقط أسفل السلم فيشير ذلك إلى أن المجني عليه قد أصيب وهو في أعلى الدرج واستطاع النزول بعد أصابته ثم سقط في الردهة ونزفت منه الدماء المشاهدة على بقعة كبيرة وأن الوفاة حصلت على السلم.

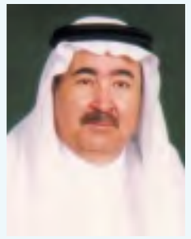

الأدلة المادية .. ودورها في التحقيق!!

لواء م / عبد الرحيم عباس قاري*

هذا المثل يمكن من معرفة الطريقة التي ارتكبت فيها الجريمة . كما يمكن أن يستنتج المسافة التي قطعتها بقعة الدم من الجسم حتى وصولها إلى الأرض عمودياً فبقع الدم التي تسقط من ارتفاع منخفض تكون مستديرة أو على شكل نجمة ، وكلما كانت المسافة التي تقطعها النقطة أو البقعة بعيدة كلما زاد ت مساحة النتوءات أو التعرجات حول مركز البقعة . وأيضاً يمكن تحديد المسافة طولياً على سطح الأرض . فعندما يمشي المجني عليه إلى مكان ما نستطيع أن نحدد المسافة التي قطعها بأن نتابع النقط التي تشير إلى المكان وتحدد المسافة التي استطاع المصاب أن يمشيها بعد أصابته . هذا بالإضافة إلى أن الجثة قد تكون سحبت من مكان لآخر . فأثر الدم الناتج عن السحب يحدد المسافة التي تم سحبها منه .

وإذا كانت بقع الدم على شكل كمثرى فإننا نعرف أن الاندفاع أو الاتجاه أتى من قاعدة الكمثرى أثناء مشي المجني عليه . هذا وان اتجاه الدماء يوحي بالوضع الذي كان عليه المجني عليه عند أصابته كأن يكون واقفاً أو جالساً فاذا أصيب المجني عليه في الصدر ووجدنا الدماء على الفخذ والقدم وفي أسفل الثوب معاً فهذا اشارة إلى أن أصابته كانت وهو واقف حيث بقى في وقفته فترة وجيزة مما ساعد على انسياب الدم إلى أسفل وتلويث الفخذ والقدم وأسفل الثوب . والبقعة الدموية عندما تسقط مائلة تأخذ شكلاً أشبه بعلامات الاستفهام أو على الأصح ببالونة والارتفاع الساقط منه الدم وطبيعة الجسم الساقط عليه .

أجريت أبحاث لمعرفة الوضع الذي كان عليه كل من القاتل والمجني عليه بعد أخذ صور فوتوغرافية للبقع مكبرة تكبيراً كبيراً وفحص محورها. إلا أن هذا الرأي لا يعتمد عليه كثيراً كما أن لون البقعة الدموية لا يفيد كثيراً في معرفة طبيعتها أو مصدرها . فالبقع الحديثة تكون حمراء وتصبح قاتمة ثم بنية سمراء . وتتوقف سرعة تغييرها على سمكها ونوع الأجسام التي تسقط عليها ، فمثلاً لا يتغير لون

البقع التي فوق الألواح الزجاجية إلا بعد وقت طويل وببطء شديد.

وبعض البقع لا ترى بالعين المجردة خصوصاً البقع الدموية الصغيرة أو التي سبق غسلها إلا أنه يمكن الكشف عنها بفحص الملابس أو الأجسام المشتبه بتكونها بها بالأشعة فوق البنفسجية أو بتصويرها بالأشعة تحت الحمراء . وهناك بعض المواد يشبه لون البقع الدموية كصدأ الحديد أو بقع عصير بعض الفواكه أو البويات وغيرها . . .وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن البقع الدموية تدل على عدة أمور أهمها ما يلي :

إذا وجدت دماء غزيرة بمكان الجثة فيدل ذلك على أن المجني عليه قتل في هذا المكان . أما إذا لم تشاهد دماء في مكان الجثة وكان شكل الجثة وما هي عليه من شحوب تدل على أن دماء غزيرة نزفت منه وخاصة إذا كان مذبوحاً فيدل على حدوث القتل في مكان أخر ثم نقلت الجثة منه ووضعت في ذلك المكان الذي وجدت فيه ، وقد يصاب المجني عليه في مكان ما ثم يتحرك إلى مكان أخر وتشاهد دماء غزيرة في المكان الأول مما يسهل للمحقق

تحديد المكان الذي أصيب فيه المجني عليه ثم يتتبع هذه الآثار فيعرف الأماكن التي تردد عليها المصاب قبل وفاته .

كما تدل البقعة الدموية وكميتها على الوضع الذي كان المجني عليه وقت أصابته فإذا حدثت الإصابة أثناء وقوفه ،شوهد الدم متجهاً من أعلى إلى أسفل في اتجاه عمودي أو رأسي فإذا وقع المصاب بعد ذلك على الأرض بعد إصابته بقليل فأن الدم يتجه إلى أقرب طريق نحو الأرض ، أما إذا طعن المجني عليه بسكين في رأسه أو عنقه ولم يشاهد الدم إلا أسفل الرقبة عند اتصالها بالأرض ولم تشاهد الدماء ممتدة على صدره أو خلف ثوبه أمكن القول أن أصابته كانت وهو راقد في المكان الذي أصيب فيه .

كما تشير شكل البقع الدموية المتناثرة على الأرض إلى الاتجاه الذي كان يسير فيه المصاب فإذا أصيب شخص في ذراعه وتساقطت الدماء على الأرض فإن الدم المتساقط يكون على شكل نقطة مستديرة في حالة الوقوف وعدم الحركة ، فإذا بدأ المصاب السير والحركة فيصبح شكل النقط مستطيلاً أو بيضاوياً (كمثرى) ونهايته رفيعة نوعاً ما ، مما يدل على اتجاه السير.. وكلما أسرع المصاب في سيره تركت البقعة الدموية أثراً رفيعاً وتلاشت الاستدارة حتى يصبح شكل البقعة أشبة بخط مستطيل متقطع .

كما أن البقع الدموية تحدد الوضع الذي كان عليه المتهم والمسافة التي كانت بينه وبين المجني عليه وذلك بأنه إذا افترض أن طعن المجني عليه بسكين فيندفع الدم بشدة من جسمه ويتناثر ويلوث ملابس المتهم وتشاهد آثار الدماء في صدر ملابسه مما يدل على أن الجاني كان في مواجهة المصاب ، وقد يكون المجني عليه على قيد الحياة بعد أصابته ووضع يده في مكان الإصابة فتلوثت بالدم ثم أمسك بالمتهم عندما كان يحاول الهرب فيشاهد أثر الدم بثياب المتهم ويثبت من التحليل الكيماوي والحامض النووي أن الدم الذي وجد بثوب المتهم من فصيلة دم المجني عليه .

كما تقطع هذه البقع من علاقة الجاني بالجريمة بمعنى إذا أنكر المتهم ارتكابه للجريمة وأثبت التحليل أن الدم الذي على ملابسه من فصيلة دم المجني عليه أعتبر هذا الأثر دليلاً ضد المتهم حتي ولو أصرعلي إنكاره ويؤكد صلته بالجريمة إذا لم يدافع عن نفسه بما هو مقبول ويثبته الواقع كان يكون قد اشترك في إسعاف المجني عليه أو نقل الجثة من مكان لأخر وكان ذلك لغرض غير جنائي.

الشعر

إذا عثر على شعر في مكان الحادث أو على جسد المجني عليه أو المتهم فإن فحصها قد يؤدي إلى فائدة عظيمة في كثير من الأحيان خاصة في جرائم القتل أو الاغتصاب حيث أثبت العلم الحديث معرفة شعر الرجل من شعر المرأة ومن أي موضع كان بالنسبة لجسم الإنسان وتحديد نوع الصبغات التي استعملت

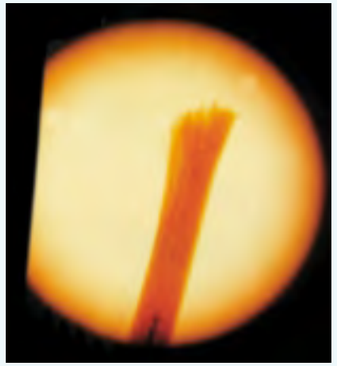

لتغيير لون الشعر ومعرفة ما إذا كان شعر الجاني أو المجني عليه بلونه الطبيعي أو مصبوغات وعما إذا كان الشعر قد انتزع أو سقط تلقائياً .

ويلاحظ عند إرسال الشعر لفحصه أن تؤخذ عينات من أعلى الرأس ومن تحت الأبط ومن العانة وأن تشمل العينات شعراً منزوعاً بالشد أو مقطوعاً قريباً من الجلد وعينة ثالثة مأخوذة من الشعر المتساقط وتوضع كل عينة على حدة في ورق أبيض ناعم يكتب عليها المكان المأخوذ منه وطريقة أخذها .

كما يجب أخذ عينات من شعر الجسم خلاف شعر الرأس مثل الصدر والبطن والأطراف والشارب واللحية ويطلب المحقق من المعمل الجنائي تحديد كل صنف على حدة، وفيما إذا كان شعراً أو ألياف أخرى خاصاً بحيوان أو إنسان ، ومن أي جزء من الجسم هذا الشعر وهل هو لشخص معين ، وأخذ عينات من الشعر تؤخذ بمعرفة الطبيب الشرعي .

أنواع أخرى من البقع :

يبحث المحقق عن أثار الألياف والأنسجة (في الكوفية والمنديل والنظارات والأزرار التي انقطعت من أثر العراك والخيط العالق به ، وأنواع الدخان والتبغ ، ويبحث عن باقي الآثار وذلك في داخل صفحات الكتب والمراسلات الشخصية التي أستعملها المجني علية ، فقد نجد فيه الدافع إلى الجريمة ويبحث المحقق أيضاً خلف الصور التي على الجدار أو في صناديق النفايات (القمامة) وفي داخل المزهرية والأوعية فربما وجد شيئاً يفيد التحقيق .

كما أن أجزاء الملابس قد تدل على جنسية المجني عليه أو الجاني كالغطرة الشماغ المشجرة التي تدل على جنسية أهل الخليج العربي والغطرة المنقطة بالأسود والأبيض التي تدل على أهل الشام والعراق .

قد تحدث جريمة قتل في منطقة زراعية مروية حديثاً ويثبت المحقق ذلك في محضر التحقيق فربما يضبط متهم ويشاهد علي ملابسه أو نعليه بلل أو طين ، كما قد ترتكب جريمة حريق عمد بالبترول (البنزين والديزل) في مكان ما ويلقى القبض على متهم فيحتمل العثور على آثار البترول بملابسه أو بجسمه .

آثار إطارات السيارات والدراجات :

كثيراً ما يستخدم مرتكبوا الجرائم السيارات والدراجات النارية أو الدراجات العادية في انتقالهم إلى محال الحوادث أو عند خروجهم منهم.

ولوسائل الانتقال هذه آثاروطبعات ويمكن للمحقق الاستفادة من هذه الآثار لمعرفة كثير من المعلومات عن مرتكبي الحادث ونجمل ذلك فيما يلي :

أ ـ معرفة وسيلة الانتقال إذا كانت سيارة أو دراجة نارية أو دراجة عادية وذلك عند معرفة حجم ومقاس الأثر.

ب ـ معرفة نوع الاطارات وما إذا كانت السيارة نقل مثلاً أو سيارة كبيرة الحجم أو صغيرة أو ونيت وذلك بملاحظة مقاس أثر الإطارات وحجمه و حجم المسافة بين الإطارات الأمامية والإطارات الخلفية .

جـ ـ معرفة الجهة القادمة منها والجهة المتوجهة إليها ، وذلك لفحص بقع الزيت وذرات التراب التي تتساقط منها ، وتحليل البقع لمعرفة مادتها وبالتالي معرفة الجهة التي أتت منها .

د ـ معرفة أماكن وقوفها بملاحظة أثار الفرامل أو بقايا أعقاب السجائر أو آثار أقدام الركاب أو السائق على أنه يجب البحث عن الآثار الإطارات من خارج مكان ارتكاب الجريمة كالباب الخارجي للمنزل أو أمام سور الحديقة أو مكان الاصطدام.

وآثار الإطارات إما أن تكون على سطح جاف أو على سطح لين ، فمتى عثر عليها يجري تصويرها ويصب لها قالب من الجبس الباريسي لأجراء عملية المضاهاة.

الظرف الناري :

البحث عن بقايا المقذوف الناري وذلك كالرصاصة والظروف الفارغة ، فقد يصيب المجني عليه طلقة رصاص من الخارج فتحطم الرصاصة الزجاج ثم تتجه إلى المجني عليه . بهذا نجد أن الظرف الفارغ في الخارج والرصاصة في الداخل .

والبحث عن الرصاصة مهم في جرائم القتل بالسلاح الناري حيث تعتبر دليلاً مادياً دامغاً ضد المتهم خاصة اذا عثر علي بصمات أصابع المتهم عليها .

آثار الآلات :

آثار الآلات لها دور في وجودها بمكان الحادث لأن الآلة إذا استعملت تترك أثرها على الشيء الذي أستخدمه فيه .

فمثلاً إذا استخدم الجاني مفكاً أو قضيباً أو ما شابهه لفتح باب المنزل أو الدولاب ، فإن المفك أو غيره سوف يترك آثاره على الخشب .

كما لابد أن تلتصق على الأداة ذرات دقيقة من الخشب أو الدهان تترك آثرها على الخشب .

وقد يحدث أحياناً أن تكسر الآلة أثناء استخدامها ويتركها الجاني في مكان الحادث والفحص الميكروسكوبي يفيد في ذلك.

أخيراً يجب مسح الغرفة بالمكنسة الكهربائية : لشفط ما تبقى من الآثار بحيث يشمل المسح الأركان والنوافذ والزوايا وأي مكان يحتمل وجود أثر فيه، بحيث لا يؤثر هذا المسح على الآثار الأخرى ، لأن عملية الكنس هي بمثابة محو . وبعد الكنس توضع القمامة الناتجة في ورق من السلفان النظيف ، أو في وعاء من الزجاج ، وترسل جميعاً إلى المعمل ليقوم خبير الأدلة الجنائية بعملية الفرز للوصول إلى ما يفيد التحقيق .

معاينة الأماكن غير المسقوفة :

إذا وقعت جريمة قتل في العراء يتبع نفس الأساليب والاجراءات اللازمة في حالات الجرائم التي تقع في الأماكن المسقوفة ويجب إثبات حالتها ، بأن يبدأ بالجزء أو الشيء الذي وقعت عليه الجريمة مبيناً مقداره وقيمته ثم بعد ذلك يجري تعيين المكان وتحديد موقعه تبعاً للجهات الأربع الأصلية والمسافة التي تفصله عن أقرب نقطة ثابتة وبيان الطرق والشوارع الموصلة إليه والآثار التي وجدت به .

معاينة الأشخاص :

المعاينة كما تجري على الأماكن فإنها تجري على الأشخاص ، والأشخاص الذين تجري عليهم المعاينة هم :

أ ـ المجني عليه: وهو أما أن يكون ميتاً وفي هذه الحالة يجب بيان وضعية الجثة ، وهل نقلت من مكانها وما هو سبب نقلها وما هو جنس صاحبها ذكراً أم أنثى وما هو عمره التقريبي ولون بشرته وشعره وطول قامته وجسمه وهل توجد به علامات فارقه.

وهل توجد فيهما جروح أو خدش وما هو نوعها ومكانها وما هي الملابس الموجودة على الجثة وهل فيهما تمزقات أو بداخلها أوراق أو نقود أو أي أشياء أخرى ، وهل يوجد حولها أسلحة أو آلات أو أمتعة أو أثار .

أما إذا كان المجني عليه حياً فيجب أن يتم فحص جسمه فحصاً دقيقاً ، ووصف ما يوجد في ملابسه من تمزقات وبقع أو ما في جسمه من جروح وخدوش وكدمات وكسور مع تحديد موقعها وبيان حالاتهما وتاريخ حدوثها والآلة التي أحدثتها .

ب ـ المتهم : يجب أن يفحص جسم المتهم فحصاً دقيقاً لأثبات ما قد يوجد عليه من آثار على جسمه أو ملابسه كالجروح والخدوش والتمزقات ثم يستعلم من المتهم بطريقة غير مباشرة عن سببها وتاريخ حدوثها دون أن يوجه نظر المتهم إليها .

هذا كما يجب البحث تحت أظافر المجني عليه والمتهم لاحتمال وجود بقايا من آثار الدماء أو الشعر أو أي ذرات لمادة ما، فقد يوجد بها السم في حالة الانتحار مثلاً أو أوساخ نسيج من الثياب وغير ذلك.

*الرياض ـ المملكة العربية السعودية.■

العوامل النفسيه المؤثرة على شهادة الإثبات

د. محمد حمدي حجار*

يمكننا القول أن شهادة الإثبات تكاد أن تكون علماً نظرا لوجود متحولات كثيرة تتدخل في سلوك الشهادة عند الأفراد ذكوراً وإناثاً. فهناك عوامل الجنس والبيولوجيا، وتركيب البنى المعرفيه، والمرض النفسي والعقلي، والتأثير السمي للمواد والأدوية والمخدرات والمؤثرات العقلية والعمر، والعرق، والديانه، والانتماء الاجتماعي.

عامل الجنس والبيولوجيا:

أوضحت بعض الدراسات المقارنه التي تناولت موضوعية الشهادة عند الرجل والمرأة أن المرأة كشاهد ليست أفضل ولا أسوأ من الرجل بينما دلت الدراسات الأخرى على أن شهادة الرجل أكثر دقة وموضوعية بينما وجدت دراسات أن شهادة المرأة أكثر شمولاً ولكنها أقل أمانة من الرجل والشهادة ليست مجرد إدراك لحادثه معينه تنطبع في الذاكرة بل ترتبط بكثير من العوامل الأخرى مثل الميل العاطفي، وتركيب الشخصية، والاستواء الانفعالي وغيرها التي تؤثر على هذا الإدراك.

فعند المرأة نجد أنها أكثر قابلية للإيحاء من الرجل وأقل قدرة على النظر بموضوعية ونقدية للحوادث والمواقف الاجتماعية. فالعالم هو القلب بالنسبة للرجل عكس المرأة فالقلب هو عالمها. ثم إن المرأة تسعى إلى التأثير على الرجل مستخدمه سلوكيات أنوثتها وأحيانا ضعفها لتحقق أغراضها، وأحيانا تستغل النظرة الخاصة التي ينظر إليها الرجل كامرأه ذات خصائص بيولوجيه وعاطفيه مختلفة عن الرجل فتكون هجومية عنيدة وأحيانا بذئية السلوك في الاستجواب، إضافة إلى استخدام البكاء لإخفاء الحقيقة وتلفيق الأدلة، والتخلص من الضغط الاستجوابي الزائد.

وتستغل المرأة عادة رقة المعاملة في استجوابها بالمقارنة مع الرجل لتدير الاستجواب بالصورة التي تكون بأقل ضغوط ممكنة وبخاصة إذا تمكنت من إغواء المستجوب بطريقتها الخاصة.

وبفعل اختلافها البيولوجي عن الرجل، فإنها أحياناً وفي فترات الدورة الشهرية أو الحمل تكون أكثر ميلاً للاستشارة ودفعها إلى شهادة الزور بفعل الحالة النفسية العدوانية التي تنتابها، ونتيجة لروح حب الذات والآنانية.

تركيب البنى المعرفية:

معلوم أن الشهادة ليست مجرد إدراك لحادثه معينه تنطبع في الذاكرة بل هي نتاج عوامل متعددة يدخل فيها تركيب الشخصية والعمليات العقلية من تفسير وتأويل للعنصر المدرك. فنحن حينما نرى شيئاً فإنه يصطبغ بتركيب جهاز المعتقد وبعمليات التأويل والتفسير لهذا الشئ فنعطيه بعض الأحيان جزءاً من معتقداتنا

في التفسير والتأويل فنحن لا نرى الشئ فقط ولكن نصبغه بلون تفسيراتنا وتأويلاتنا لهذا الشئ.

لذلك نرى التشويه والتحوير في الشهادة للحادث الذي يشهد فيه الناس فتأتي الشهادات مختلفة في التفاصيل والموضوعية، تماماً كما يحدث في سريان الإشاعة.

إن الطبيعة البشرية تُأوّل المواقف تأويلاً خاطئاً، ولكن مع هذا التأويل لديها القدرة على تصويب هذا التأويل والنظر إلى المواقف أكثر موضوعية إذا ما أدركت أنها مخطئة وأن درجة القدرة على الاستبصار بخطأ التأويل والتفسير ترتبط بدرجة الصحة النفسية عموماً عند الفرد.

المرض النفسي والعقلي والسلوكيات المضادة للمجتمع:

يتأثر صدق الشهادة وموضوعيتها بدرجة الصحة النفسية، لذا فإن هناك بعض الأمراض النفسية والمرض العقلي يؤثران على شهادة الفرد بحيث تصبح الشهادة باطله قانونياً فلا يؤخذ بها.

ويحسن أن نعدد الأمراض النفسية والعقلية التي تؤثر على موضوعية الشهادة:

أ ـ تقدم السن والخرف

يترافق مع تقدم العمر حدوث تنكسات واستحالات في الخلايا العصبية للدماغ. ومثل هذه الاستحالات والانتكاسات تؤدي إلى ضعف واضح في القدرات العقلية مثل التذكر، والمحاكمة، والتخيل والنقد الذاتي وإلى ما هناك من قدرات لها صلة بالتفكير السليم الموضوعي.

وعلى الرغم من أن السن الذي تبدأ فيها الشيخوخه والتدهور العقلي هما غير محددين لأن ذلك يرتبط بعوامل كثيره منها الصحة البدنيه، والغذاء، والأمراض، والوراثه، والصحة النفسية، والعادات المضره بالصحة كالكحول والمخدرات، وملوثات البيئة والأدوية التي يتعاطاها الفرد، فإن تقدم العمر عموماً يؤدي إلى تدهور القدرات العقلية بحيث أن الفرد الذي يبلغ من العمر تسعين سنة يصبح عاجزاً عقلياً ولا يؤخذ بشهادته. ولا ننسى أن المسن تضعف عنده الحواس كالبصر والسمع لذا فإن الحوادث كما تبدو في الواقع تنقل إليه ويدركها بصراً وسمعاً أدراكاً ناقصاً ومشوهاً. وننبه إلى أن تذكر الحوادث القريبة عند المسن يكون ضعيفاً جداً (أي الذاكرة المباشرة).

وبسبب هذا الضعف والشعور بالنقص عند المسن فإن التلاعب بذاكرته وبما يدليه من تفاصيل عن الحادث في شهادته من قبل الدفاع في القضاء هذا التلاعب سهل بحيث أن الدفاع يستطيع أن يوجهه في الشهادة نحو ماهو في صالح موكله.

ب ـ المرض النفسي

تلعب الشكوك المرضيه (الاضطراب الزوري) دوراً هاما في صبغ المدركات بالهواجس المرضية المشوهه للواقع عند المريض فالمريض بالزور (أو الشك المرضي) يعطي تفسيراً ذاتياً ومشوهاً للحوادث الخارجيه وخاصة الأمور التي ترتبط بهذيانه. فإن شاهد حادثه مشاجرة عادية بين شخصين فإنه قد يصور الموقف تصويراً يعطي لأحد المتهمين في الشجار صفة الشروع بالإقدام على القتل. لذا فإن على المحقق أن يتحقق من الصحه النفسيه عند الشاهد إذا ما شك بتفاصيل شهادته وعدم مطابقتها مع الواقع.

جـ ـ المرض العقلي

بفعل الهواجس والهذيانات التي تسيطر على محتوى التفكير عند المريض المصاب بالفصام العقلي فإن إدراكه للعالم الذي يحيط به يختلط بهواجسه. لذا فإن شهادة المريض العقلي باطله.

وننبه هنا إلى أن المرض العقلي قد لا يظهر بوضوح عند المريض بالفصام وبخاصة إذا كان تحت تأثير الأدوية المضادة للفصام. لذا فإن أي سلوك يظهره الشاهد غير مألوف يتعين على المحقق أن يتحقق من سلامة قدراته العقلية بإحالته إلى الطبابة النفسيه.

د ـ مرض داء الصرع

يحدث مرض الصرع تبدلات مهمة في الشخصية والقدرات العقلية بسبب النوبات الصرعية المخربه للخلايا العصبيه. لذا فإن وجود قصة مرض صرع عند الشاهد لا بد أولاً من سبر القدرات العقلية ودرجة انحطاطها عند المريض.

هـ ـ السيكوباتيه (أو السلوك المضاد للمجتمع)

تتميز السكوباتيه بسلوك يتسم بسلوك مضاد للمجتمع فالسيكوياتي إنسان يسعى إلى تحقيق رغباته بسلوكيات لا أخلاقيه فهو يضرب عرض الحائط بالقيم الأخلاقية والاجتماعيه

عندما يجد أن هذه القيم تقف حائلاً دون تحقيق رغباته. يتنكر للعلاقات الاجتماعيه القائمة على الأخذ والعطاء ويبتز حتى أقرب المقربين إليه بأساليب الخداع والتضليل. ويمتهن الأعمال المنحطه كالدعارة والتجارة بالرقيق الأبيض. ويسلك مسلك المغامرات اللاقانونية في الربح والاكتساب، وينتحل الصفات الاجتماعيه المختلفة بغرض الاحتيال والسرقه. ويتاجر بالمخدرات، وينخرط في عصابات اللصوصية والإجرام، ولا تقوم سلوكه عقوبة، ولا يستفيد من أخطائه والمصاعب التي يقع فيها كما أنه سراع للعدوان والأضرار بالغير ويسلك الكذب والنصب والاحتيال في علاقاته الاجتماعيه.

غالباً ما تلف السيكوباتي قصة تنشئه تعيسه مليئة بالتفكك العائلي الأسري، والخصوصات العائلية والتربية المنحرفة، وأجواء الرذيلة والأبوة المنحرفة.

فشهادة السيكوباتي مطعون فيها ذلك لأنه من السهولة بمكان أن يتم شراء شهادته بالمال، إن لم نقل أنه يحترف شهادات الزور طمعاً في الكسب والمال.

الأدوية والمخدرات والمؤثرات العقلية

يحدث تعاطي الكحول المزمن اضطرابات وتبدلات في الشخصية والسلوك وفي القدرات العقلية. وهناك ما نسميه بالذهانات الكحولية (أي الاضطراب العقلي ذي المنشأ الكحولي).

فالكحول في المراحل المتطوره من الكحولية يحدث اضطراباً عقلياً زورياً فتزداد شكوكة المرضيه وسلوكه العدواني وأوهامه وهذياناته وتسوء علاقاته الاجتماعيه، ويتعامل مع الواقع وفقاً لما توحيه أوهامه وإدراكاته في تأويل الواقع وتشويه صورته الحقيقية.

ولعل أكثر القدرات العقلية تأثراً في الاختلال هي الذاكرة في الكحولية فتصاب بعجز في استرجاع الحوادث استرجاعاً زمنياً واقعياً. فنجد في ذاكرته فجوات يسعى إلى سدها باختلاق تفاصيل وهمية غير حقيقية، وهذا ما نسميه بأعراض كورساكوف (نسبة إلى مكتشف هذا الاضطراب) فالمريض الكحولي في هذا الاضطراب يسرد الحادثه بتفاصيل تخال للمحقق لأول وهله أنه يكذب ويشوه الحقيقه. بينما هو في الواقع تكون هذه التفاصيل من صنعه في محاولته لسد سياق فجوات ذاكرته. وأحياناً قد يقع في مشكلة تزوير الحقائق بشهادته بينما هو في الواقع بريء من ذلك.

لذا فإن الكحولية المتقدمة المزمنة تعد سبباً قانونياً وطبياً في رفض شهادة صاحبها.

كذلك فإن جميع المخدرات تحدث على المدى البعيد من التعاطي اضطرابات عقلية وبخاصة المنشطات العصبية كالكوكايين والحشيش والامفيتامينات. لذلك فإن الشهادة القانونية يمكن الطعن بها في حالات تعاطي المخدرات تعاطياً مزمناً مديداً.

الأمراض العصبية

تعد البارکنسونيه من الأمراض العصبية المحدثه لاضطرابات حركيه سببها نقص مادة الاستيل كولين في الجهاز الهرمي. وتتميز أعراض البارکنسونيه برجفة اليدين واهتزازات الأصابع إضافة إلى جمود السخنة وفقدان التعبير فيها وبطء القدرات العقلية وتدهورها كما وأن مرض نقص المناعة المكتسبة يحدث اضطرابات عقلية ويحط من القدرات العقلية. ونضيف إلى ذلك مرض الزهري (السفلس) في مراحله المتقدمه حيث يحدث الشلل العام والمرض العقلي.

إن هذه الأمراض كلها تمنع من الأخذ بشهادة الإثبات لأن المريض بهذه الأمراض لا تتوفر فيه المعايير القانونية في شاهد الإثبات.

العرق والديانة والانتماء الاجتماعي

هناك تجارب جرت على الذاكرة والإدراك للتعرف على مدى تأثر الإدراك بالتمييز العرقي. ففي تجربة أجراها راتشمان أثبت فيها كيف أن شهادة أسود زنجي بدت متحيزة ضد رجل أبيض تشاجر مع رجل أسود حينما شهد الأول أن الرجل الأبيض كان يحمل المديه ليعتدي بها على الرجل الأسود، بينما كان الرجل الأبيض هدد خصمه بِعصاً كان يحملها.

وفي علاقات البشر بعضهم بالبعض الآخر نجد التحيز واضحاً لأبناء ملّتهم عندما تكون المشكلة مشكلة خصوصات واعتداءات. والأمر ذاته ينسحب على العداوات الدينية والانتماءات الاجتماعية في القضايا القانونية.

بعد شرح العوامل التي تؤثر على شهادة الإثبات يحسن بنا أن نحلل مدى أمانة الذاكرة في تسجيل الحوادث الخارجية واسترجاع المدركات لتلك الحوادث في التفاصيل والمضمون. وبتعبير آخر هل نعول على الذاكرة في الشهادة على اعتبار أنها أمينة في الاختزان واسترجاع مدركات تلك للحوادث بدون تحوير أو تبديل عند الشخص السوي؟

ما من شك أن الذاكرة تخضع لقوانين النسيان، وبخاصة تفاصيل المادة المتذكرة. فأنت تنسى تفاصيل موضوع مادة درسية أو حفظيه مع مرور الزمن، وتبقى متذكراً الخطوط أو الأفكار الرئيسة لمضمون هذه المادة وتحت تأثير التنويم أحيانا وبفعل التحريض التخيلي يمكنك تذكر بعض التفاصيل المنسية. وهذا مانوصي به أحيانا للطالب الذي ينخرط في الفحص أن يكون في إحالة استرخاء لأن الانفعال يعطل من تذكره لتفاصيل المادة الحفظية.

لقد دلت التجارب أن الذاكرة تظل محتفظه بأمانة بمضمون المواد المحفوظه أو الحادثة المدركة فلا يصيبها التحوير ولكنها معرضة لنسيان التفاصيل. إلا أنها عرضه للتشويه بالمضمون إذا ماتم المساس بهذا المضمون من خلال طرح تساؤلات على الفرد الذي يستجوب في شهادة من قبل محامي الدفاع بشكل تبدل تفاصيل معلومات الذاكرة وتسلخ منها بعض مضامينها. فالدفاع الذكي كثيراً ما يدس أمثله على شاهد الإثبات بشكل يقنعه إيحائياً أن ما هو مطروح عليه من معلومات واستجوابات هي حقائق وجزء من ذاكرته. أما إذا لم يتم تحوير الذاكرة باسئلة فتظل أمينة في تذكر المضمون.

العوامل التي توثر في استجواب المتهم

عملية الاستجواب هي عملية غير تفاعليه ذلك لأن كل طرف يسعى للمناورة على الطرف الآخر في محاولته لتضليله. فالمتهم يتخذ موقف الحذر من المحقق، والمحقق يفترض أن كل ما يفصح به المتهم بدون ممارسة ضغوط عليه هو كذب وهروب من سرد الحقيقة، وبفعل هذه المواقف السلبيه تبرز كثير من العوامل في سير الاستجواب تكون فاعله في تنشيطه وتحويله إلى استجواب عدواني الطابع، وهذه العوامل هي:

١ ـ السلوك السادي

بعض المحققين يميلون إلى تعذيب المتهم ويجدون متنفساً لسلوكهم العادي في تعذيب الآخرين والتسلط عليهم، فهم تحت غطاء القانون ومناهضة الجريمة يمارسون سلوكهم السادي لإجبار المتهم على الرضوخ لمطالبهم بالاعتراف بجرائمهم.

٢ ـ الضغوط السلطوية لانتزاع اعترافات ذات أهمية سياسية

في ظروف الاضطرابات السياسية أو بروز نشاطات مخربة تكون هناك حاجة ماسة وملحه لتلبية ضغوط الرأي العام من قبل السلطات الأمنية والحكومية في تحديد الجهات المسؤولية عن تلك النشاطات بأية صوره، فالاستجوابات تحت وطأة هذه الضغوط تكون ذريعة تلجأ السلطات إلى أية طريقه كانت كيما تحصل على اعترافات حتى لو تم انتزاعها تحت تأثير التعذيب والعنف الجسدي.

٣ ـ السعي لكسر التوازن الانفعالي

إن الحرمان من الغذاء والنوم والراحة والعزلة، وخلق مشاعر التهديد والتعذيب كلها عوامل تمهد لحدوث الإنهيار العصبي وتسهيل عملية الاستجواب. كما أن تركيب الشخصية ودرجة توازنها يلعبان دوراً مهماً في العملية الاستجوابية.

٤ ـ سلوك الملاطفة وأظهار الرغبه في تقديم العون

في بعض الأحيان تسهل سلوكيات الملاطفة وأظهار عواطف المساعدة والإنسانية تجاه المتهم من قبل المحقق في جعل المتهم متعاوناً مع المحقق في إبراز الحقيقه على أمل مساعدة المحقق للمتهم في تخليصه من ورطته بأقل متاعب ممكنه.

٥ ـ العدوان العرقي أو الطائفي والايديولوجي

في الحروب الأهلية والنزاعات الطائفية تكون النزاعات العدوانية ضد ملة أو عرق أو طائفة هي المهيمنة في استجواب الخصم لتصفيته وأدانته والأمر نفسه في النزاعات الايديو لوجيه.

٦ ـ التمييز الطبقي والسلطوي

أحيانا يقف المحقق موقفاً مختلفاً في أسلوب تحقيقه وسيكولوجية نزواته عندما يتناول التحقيق أفرادا ينتمون إلى طبقات اجتماعه ذات نفوذ أو سلطة. فالخوف يؤثر تأثيراً سلبياً على موضوعية استجوابه وصدق نتائجه وحتى في أسلوب تعامله الاستجوابي.

٧ ـ سوابق المتهم

يتأثر المحقق تأثراً كبيراً بسوابق المتهم وسجله العدلي، فالمتهم الذي احتجز للتحقيق معه بسبب حوادث سرقه أو قتل أو غير ذلك من الافعال الجريمه الجزائية غالباً ما يتأثر المحقق بالسوابق الجرميه للمتهم فيتعامل معه في التحقيق على أساس أنه مدان وما عليه سوى الاعتراف بأفعاله الجرميه، وهنا تكمن خطورة المعتقدات السابقة عند المحقق في تأثره بالأخلاقية السابقه للمتهم.

٨ ـ عامل الجنس

لتأثير الجنس في التحقيق أمر لا يمكن انكاره. فالمرأة بفعل تركيبها الفيزيولوجي المختلف عن الرجل تؤثر سيكولوجيا على موقف المحقق في عملية استجوابها وذلك بما تبديه من استعطاف وسلوكيات التظاهر بالبراءة، وأحياناً من الانفعالات كالبكاء والتأسي والتوسل، وأحياناً يكون لجمالها تأثير خاص على سلوكية المحقق ونوع المعاملة التي يظهرها في الاستجواب الذي قد يصل إلى درجة الاغراء الايحائي من جانبها حيث تحظى بمعاملة استجوابية خاصة من قبل المحقق.

---

* باحث. دمشق ـ الجمهورية العربية السورية■